

المواطنون الرومان في مصر في القرنين الاول والثاني الميلاديين ملاحظات على الوثائق ، ومنهج لدراسة أوضاعهم

بقلم / فاروق حافظ القاضي

بدخول مصر في حوزة الرومان في عام ٣٠ ق م ، جد على خريطة السكان في البلاد عنصر مهم جديد هو عنصر المواطنين الرومان *Cives romani* الذين توافدوا على الولاية الغنية من أجل أغراض شتى ، كتولى وظائف الحكم أو ممارسة النشاط الاقتصادي لاسيما في مجال التجارة وأعمال المصارف فيما يتعلق بجباية الضرائب على وجه أخص ، أو الانخراط في سلك الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال الذي رابطت فرقه وكثائبه في أنحاء البلاد . وبصفة كون هذا العنصر الوافد الجديد عنصر السادة الفاتحين ، كان من الطبيعي ان يتبوأ أفرادهم مكان الصدارة في ذلك المجتمع الطبقي الذي كان البطالة قد أقاموه في مصر على أساس سياسة التمييز العنصري بين فئات السكان ثم حولته سياسة الرومان الاجتماعية الصارمة إلى مجتمع جامد التركيب اتخذت طبقاته شكلا هرميا أكثر حدة وأشد وضوحا . ومن وجهة أخرى كان من الطبيعي أن يتجه اهتمام الباحثين إلى تجميع المادة المتوافرة من المصادر لإجراء دراسة متكاملة عن هذا العنصر الروماني من حيث مظاهر حياته ومجالات نشاط أفرادهم في مصر ومدى تأثيرهم في البيئة المصرية أو تأثيرهم بها وهم يترفعون على قمة ذلك الهرم الطبقي . وكان محور الاهتمام عند بعض الباحثين على وجه الخصوص هو تبين مدى انتشار حقوق المواطنة الرومانية في مصر إبان الفترة الواقعة بين بداية الحكم الروماني وصدور مرسوم الامبراطور كاراكالا المعروف باسم *Constitutio Antoniniana* في عام ٢١٢ ، وهو المرسوم الذي منح حق المواطنة الرومانية لكل سكان الامبراطورية قريبا عدا فئة المستسلمين *dediticii* كما هو معروف .

وبالرغم من أن دراسات شتى قد تناولت جانبا أو آخر من جوانب الموضوع ، فإن ثمة صعوبات كانت ولا تزال تكتنف انجاز دراسة شاملة أو متكاملة عن المواطنيين

الرومان في مصر . ذلك أن مثل هذه الدراسة تتطلب بادئ ذي بدء إنجاز حصر "بروسوغرافى" كامل من واقع الوثائق البردية والنقوش اليونانية واللاتينية لجميع أسماء المواطنين الرومان في مصر ، وهنا تبرز صعوبة ناجمة عن عدم الاتساق في ذكر الاسماء الرومانية في هذه الوثائق بطريقة مطردة ، مما أدى الى عدم الاتفاق بين الباحثين على المعيار الذى تتعدد على أساسه بشكل قاطع هوية الشخص المذكور فى الوثيقة على أنه "مواطن روماني" Civis romanus اعتمادا على الاسم الذى يحمله . ولبيان هذه المسألة نقول أن من المتعارف عليه أنه لى يكون الاسم دليلا مؤكدا على الجنسية الرومانية ، ينبغي أن يكون مؤلفا من الأجزاء الثلاثة التقليدية وهى على الترتيب : الاسم الشخصى ثم اسم العشيرة ثم الكنية (Praenomen - nomen - cognomen) ، مع التأكيد على اسم العشيرة (١) الرومانى بصفة أخص . وقد لاحظ الباحثون منذ وقت طويل أن اسما شخصيا لاتينيا praenomen مشغوعا باسم عشيرة روماني لا يدل بالضرورة على أن حامله مواطن روماني . كذلك فإن هناك شكوكا حول الاسم الثلاثى نفسه حيث تصادف فى الوثائق أشخاصا يحملونه مع انهم لا يتمتعون بحق المواطنة الرومانية ، وأشهر الأمثلة على ذلك ورود اسمين لرجلين يحمل أحدهما اسم جايوس يوليوس ديودوروس والآخر اسم جايوس يوليوس بقوليمايوس ضمن قائمة لدافعى ضريبة الرأس λαογραφία فى قرية كرانيس باقليم أرسينوى (الفيوم) ، وهى ضريبة نعلم بالتأكيد أن المواطنين

(١) لتنام دلالة الاسم بالتأكيد على الجنسية الرومانية كان يذكر بالإضافة الى ذلك اسم القبيلة ، غير أن هذه القاعدة أهملت فى العصر الامبراطورى حتى نسي تلك الوثائق المدونة باللاتينية ، ولم يكن ذلك قاصرا على مصر وحدها بل كان عاما فى كل ولايات الامبراطورية ، راجع :

1. Biezunska-Malowist, L'extension du droit romaine en Egypt (Proc. 1st Intern. Cong. Pap., Oslo, 1958) P. 277 & No. I.

(2) Wilcken, Grundzüge, P. 38 & No I; Lesquier, L'armée romaine en Egypt, pp 219-222 & Passim.

(١)
الرومان كانوا معفين منها وبالتالي لا يمكن أن يكون الرجال مواطنين رومانيين .
وفضلا عن ذلك فإن الدراسة المتأنية لبعض الوثائق اوضحت أن اشخاصا كانوا بالقطع
مواطنين رومان ، لكن الطريقة التي وردت بها اسماؤهم في الوثائق لا توحى بذلك .
ونذكر من الحالات الكثيرة من هذا القبيل احد الامثلة من كرانيس أيضا . ففي وثيقة
من عام ١٥٠ م وجدنا شخصا يدعى جايوس يوليوس نيجر C. Iulius Niger
وله ابنان هما جايوس ابوليناريوس نيجر C. Apolinari us Niger وجايوس
يوليوس لونجينوس C. Iulius Longinus ، وقد توافرت لثلاثتهم الاسماء
الرومانية الثلاثية . لكنه في حوالي عام ٢٠٠ م نجد في عدد من الوثائق شخصا يحمل
اسم هوريون Horion وهو اسم مصرى شاع استخدامه عند المصريين المتأخرين .
ولقد كان من الممكن أن نقنع بترك هوريون هذا مصنفا بين أفراد هذه الفئة لولا
أنه في برديات قليلة أخرى ذكر اسمه كاملا على أنه جايوس جميلوس هوريجينوس
C. Gemellus Horigenes بن جايوس يوليوس ابوليناريوس بن جايوس
يوليوس نيجر . ونستبين من ذلك أننا بإزاء مواطن روماني ورث هويته الرومانية أبا عن
جد بحيث يمثل هو في ذلك الجيل الثالث على الأقل ، لكنه - في مناسبة اجسرا -
كان عاديا - يذكر اسمه ببساطة على النحو الذي كان يفعله عادة سائر الاغريق المصريين .
ويعنى ذلك أننا يمكن أن نعثر على مواطنين رومان غائبين في الوثيقة عند نظرتنا
الاولى اليها بسبب ذكرهم باسماء يونانية فقط ، كما يعنى بالتالى ان جهدا كبيرا
ينبغي ان يبذل في تناول عدد غير قليل من الوثائق بدراسة مجتمعة بعضها الى
بعض أحيانا ، او تحييص السياق العام للوثيقة المنفردة بتحييصا شديدا في أحيان
أخرى . عسى أن تتحدد هوية أشخاص رومان ربما كانت النظرة الاولى قد أخطأتهم .

-
- (1) P. Mich, IV: C, Iulius Diodorus 223, 430, 1887; C. Iulius Ptolemaios, 223, 431, 670, 2586.
(2) J. E. Oates, Romanization of the Greek East, Evidence of Egypt, B.A.S.A., 2 (1964) pp. 60-61.

وقد ترتب على هذا الوضع من عدم الاتساق فى أساليب ذكر الاسماء الرومانية فى الوثائق أن الباحثين ليسوا على اتفاق على معيار تحديد وضع المواطن الرومانى على أساس اسمه المذكور فى الوثيقة ، وهو بالطبع المتطلب الاول لاجراء حصر المواطنين الرومان فى مصر من حيث نسبتهم العددية التقريبية الى بقية عناصر السكان الاخرى على الأقل . وقد تشدد البعض واشترط ان يرد الاسم ثلاثيا مع التأكيد على اسم العشيرة الرومانى وذكر اسم الأم اللاتينى ، وترخص آخرون فذهبوا الى أنه يكفى اعتبار حامل الاسم مواطنا رومانيا أن يرد اسمه ثلاثيا او حتى ثنائيا فقط ، شريطة أن يرد فيه اسم عشيرة روماني ، مع الأخذ فى الاعتبار أيضا ان المواطنين الرومان الذين ينتمون الى أصل ايطالى تتوفر فى اسمائهم كل عناصر الاسم اللاتينى ، فى حين أن اسم الكنية Cognomen فى أسماء الاغريق المصريين الذين حصلوا على حق المواطنة فى مصر يرد بالطبع يونانيا .

ولقد يبدو أن من الصعوبات الاخرى التى تعترض اجراء دراسة شاملة لوضع المواطنين الرومان فى مصر هى قلة الوثائق التى يمكن التعويل عليها لاستخلاص مظاهر حياتهم الاجتماعية ووجوه نشاطهم الاقتصادى ، فضلا عن مستواهم الثقافى ودرجة اصطباغهم هم انفسهم بالصبغة الرومانية بما يتيح لهم — افتراضا — فرصة اسباغ مسحاة من ملامح الحياة العامة الرومانية على تلك البلاد . والواقع أن قلة الوثائق أمر حقيقى بالفعل ، كما أن هذه الوثائق القليلة فى مجموعها ليست موزعة توزيعا متكافئا على أقاليم مصر المختلفة ، بحيث نجد أكثرها وأهمها خاصا باقليم ارسينوى (الفيوم) ، لاسيما قرى كرانيس (كوم أو شيم) وفيلا دلفيا (جرزة) وثيادلفيا (هريت) . ولذلك وجدنا كل الدراسات التى أجريت حول جانب أو آخر من موضوع المواطنين الرومان فى مصر حتى الآن تعتمد اساسا على تحليل تلك الوثائق التى وصلتنا من هذه المواضع الثلاثة . ومن المعلوم أن هذه القرى جادت حقا بكليات كبيرة من الوثائق البردية بصفة

(1) I. Biezunska - Malowist, op. cit., p. 278.

عامة ، ولذلك يبدو أمرا طبيعيا أن يصلنا منها عدد من البرديات المدونة باللاتينية ،
وقدر أكبر من البرديات اليونانية المتعلقة بالمواطنين الرومان . وهناك عثرنا على
برديات مطولة تحتوى على سجلات لأسماء دافعى الضرائب المختلفة ومنهم بالطبع
مواطنون رومان . وقد تبين من بعض هذه السجلات أن نسبة عالية من ملاك الاراضى فى
تلك القرى كانوا من هؤلاء المواطنين . كذلك يوجد عدد من الوثائق يمكن أن يضم
بعضه الى بعض ليؤلف ما يمكن أن نصفه بالأشياء المحدودة لافراد من الرومان
أقاموا هناك ، ومنهم لوكيوس بلينيوس جملوس L. Bellenus Gemellus
وجايوس يوليوس ابوليناريوس وجايوس يوليوس نيجر اللذين سلفت الإشارة اليهما من قبل .
ولعل الوفرة النسبية للوثائق المتعلقة بالرومان فى اقليم ارسينوى ذات صلة أيضا
بالوفرة النسبية للمواطنين الرومان الذين استوطنوا هذا الاقليم ، وتلك ملاحظة
قديمة فطن اليها العلامة "فلسلى" منذ وقت طويل واكدتها الدراسات الاحداث .
لكن ما يسترعى الالتفات فى هذا الصدد حقا هو أن اقلية مثل اكسيرينخوس السذى
أندنا بالعدد الاوفى من وثائق القرون الثلاثة الاولى من الحكم الرومانى فى
مصر لم يجد الا بالقليل من الوثائق المتعلقة بالمواطنين الرومان . ويذكر "تينر"
أن جملة من أحصاهم فى وثائق هذا الاقليم فى الفترة المذكورة لا يجاوز أحد عشر
شخصا من الجنود المسرحين من الجيش Veterani (وكان هؤلاء يتمتعون بحقوق
المواطنة الرومانية بعد تسريحهم من الخدمة) بالإضافة الى سبعة عشر آخرين يمكن
التعرف على هويتهم الرومانية من خلال الاسم الثلاثى ، وليس منهم من حصل على
حق المواطنة الرومانية بمقتضى مرسوم كاراكالا (C.A . فى عام ٢١٢) وان كان

(1) Oates, Philadelphia in the Fayum during the Roman Empire
(Atti XI Cong. Intern. Pap., Milano 1966) p. 455. &
Boak, The Population of Roman and Byzantine Karanis,
Historia 4 (1955), . pp.161-2.

(2) Wessely, Karanis und Soknopaiou Nesos, Vienna, 1900
(quot. D. Samuel. Am. Stud. pap 23, p. 389).

(١) بينهم بعض النسوة . كذلك فإن من يراجع " سجل البرديات اللاتينية " C.P.L. (٢) لا يفتقر ، لا يجد قدرا يعتد به من برديات اوكسيريخوس .

غير أنه بالرغم من قلة الوثائق المتعلقة بالرومان في مجموعها ، وعدم توزيعها بالتعادل بين الاقاليم المصرية من حيث المكان او بين قرون الحكم الرومانى — حيث الزمان (٤) ، فإن الدراسة المتأنسة للمتوفر منها فى ضوء الاوضاع العامة فى مصر وتطور سياسة الباطرة الرومان نحو الولايات فى مجالات محددة كنظام تعبئة القوات العسكرية فى تلك الولايات مثلا ، يمكن أن تؤدى الى استخلاص معلومات مهمة عن أحوال الرومان فى مصر فى مناطق محددة بالتأكيد ، لكنها قابلة للتعميم دون الوقوع فى الاخطاء التى ينطوى عليه عادة منهج التعميم فى الدراسات الوثائقية البردية . ويرجع ذلك الى خصوصية وضع طبقة المواطنين الرومان بين بقية عناصر السكان فى مصر من الناحية القانونية . حقا انه بمرور الوقت شكلت هذه الطبقة — مع طبقة مواطنى مدينة الاسكندرية " طبقة اقتصادية " واحدة ، بحيث بات من الصعب علينا التفرقة بين الطبقتين من حيث الامتيازات المالية والاقتصادية ، بل من حيث العديد من مظاهر الوضع الاجتماعى . لكن يبقى لدينا مع ذلك بعض الوثائق وفى

(1) E.G. Turner, Roman Oxyrhynchus, J.E.A. 38 (1952) p.86.

(2) R. Cavenaille, *Corpos papyrorum Latinarum* Wiesbaden, 1958.

(٣) لعل ما يزيد الامر غرابة بالنسبة لقلّة المعلومات عن الرومان فى اوكسيريخوس أن الكتيبة الايتورية الثالثة Cohors III Ituraeorum رابطة فيها وقتا ما حول عام ١٠٣ م (P. Oxy. 1022; Lesquier, op. cit, p 91) وكان المتوقع ان نجد وفرة من الجنود المسرحين من هذه الكتيبة مستقرين فى ذلك الاقليم . ولعل ما يمكن أن يفسر قلة المواطنين الرومان فى هذا الاقليم أن الاراضى الزراعية فيه لم تجتذب الراغبين فى الإقامة بمصر من الجنود المسرحين بمثل ما اجتذبتهم اراضى اقليم الفيوم المليئة بفرص الاستثمار .

(٤) يلاحظ أن اكثر الوثائق التى وصلت إلينا ترجع الى العقود الوسطى — القرن الثانى الميلادى .

مقدمتها وثيقة ادارة "الحساب الخاص" idios logos وبعض بنود المدونات القانونية الرومانية التى تشير الى تطبيقات القانون المدنى ius civile أو قانون الاشخاص الرومانى فى مصر ، وهى تفيد كثيرا فى تقرير خصوصية وضـع المواطنين الرومان فى مصر من الناحية القانونية .

والواقع انه إن كان ثمة ما يؤسف له فى مجال نقص الوثائق عن الرومان فى مصر — مثلما يؤسف له بالطبع بالنسبة الى سائر جوانب الدراسة التاريخية لتلك الحقبة — فهو فقدان وثائق مدينة الاسكندرية عاصمة الحكم والادارة ومركز الجذب للرومان من خارج مصر ولفئات السكان المختلفة من داخلها . هنالك كان الوجود الرومانى أقوى وأوقع وأكثر فعلا وادعى الى أن يعكس فى الوثائق ردود فعل سائر عناصر السكان المقيمين فى المدينة ازاء هذا الوجود . وقد لا يعنينا فى المقام الاول والأهم القائمين على اداة الحكم فى العاصمة بدءا من والى مصر وهو رأس السلطة المركزية ، ومعاونيه من كبار الموظفين الرسميين الرومان حتى وظيفة مدير عموم المنطقة epistrategos ، وكان أولئك يمارسون صلاحياتهم الرسمية وهم ملئ السمع والبصر ، وانما يعنينا بصفة أخص أولئك الرومان الذين اجتذبتهم تلك العاصمة التى كانت تعج بالحركة ليمارسوا فيها نشاطهم الاقتصادى تجارا او رجال اعمال واصحاب مصارف وارباب عقارات فى أرياض الاسكندرية وملك اراضى زراعية فى مجاوراتها او فى اقاليم مختلفة من "ريف" مصر ، حيث تولى وكلاؤهم ادارتها لحسابهم هناك . وللمرء أن يتصور أى ثـمـرة من المعلومات كان من الممكن أن توفرها وثائق المدينة الضائعة عن موضوع المواطنين الرومان فى مصر من كثير من الوجوه الاقتصادية والاجتماعية والقانونية ، بل والسياسية ايضا .

وقد نجد فى هذا الموضوع من الحديث مناسبة للتنبية الى أن الدراسة المبتغاة عن هؤلاء المواطنين تنصب على أولئك الذين اقاموا بمصر اقامة دائمة مؤلفين فى مجموعهم ما يمكن أن نسميه " بالجمالية " سواء أكانوا مواطنين رومانا بالاصل أم بالتجنس ام بالاكتساب ، بمعنى أن هذه الدراسة لاتدخل فى حسابها الموظفين الرسميين الرومان على اختلاف مستويات وظائفهم ، فهؤلاء كانوا يؤدون سنوات خدمتهم بالبلاد

ثم يغادرونها ، وكذلك اولئك النفر من وجهاء الرومان الذين كانوا يقدون الى مصر
لاغراض السياحة أو العلاج ثم يرحلون . كذلك تستبعد الدراسة كبار ملاك الاراضى
الرومان من أفراد عائلة الامبراطور رجالا ونساء ، او عتقائه liberti او خلائه
واصفائه ، وهو "لا" واولئك جميعا امتلكوا فى مصر مساحات كبيرة من اراضى "الويسية"
ouçéa ، خاصة ابان القرن الاول من الحكم الرومانى ، لكنهم كانوا ملاكا متغييبين
absentees ، وربما لم تطأ اقد سهم ارض مصر قط .

هذه الجالية الرومانية فى الحدود السابقة المرسومة ضمت أفرادا اتوا من مصصادر
شتى، أولها من حيث الترتيب التاريخى اولئك الرومان الذين كانوا مواطنين بحكم المولد
أصلا وقد موا الى مصر فى ركاب الاحتلال ليعملوا فى المجالين المالى والاقتصادى مستفيدين
من الامتيازات العديدة والمركز الرفيع الذى حظى به المواطنون الرومان . وقد تركـز
الجانب الاكبر من نشاطهم اولا فى مدينة الاسكندرية حيث نجد عددا كبيرا من المشتغلين
بالتجارة والصيرفة فى عهد اوغسطس يحملون اسما تفصح عن هويتهم الرومانية
(٢)

(١) لعلنا نقدر أن من العوامل التى أعاق تقدم كثير من ملاك الاراضى الكبار الى مصر
ولو لفترة محدودة لمعاينة اراضيهم التى منحها اياهم الاباطرة وكانت تستثمر فى مصر
لحسابهم ، تلك القاعدة التى استتبها الامبراطور اوغسطس وهى عدم السماح
لاعضاء مجلس السناتو الرومانى بل ايضا الفرسان المميزين (او نابهي الذكـسر)
equites illustrii بدخول مصر الا باذن خاص من الامبراطور . وقد
اعتبرت هذه القاعدة مبدأ ثابتا من أركان السيطرة والحكم
arcana dominationis على حد تعبير المؤرخ تاكيتوس (Tacit. Hist. I 11.) وقد طبق الاباطرة
من خلفاء اوغسطس هذه القاعدة بدقة لانها كانت احتياطا ضد خطر قيام أحد من
ذوى السلطة والطموح الرومان بالاستقلال بولاية مصر الغنية عن الامبراطورية
الرومانية ، الى أن فقدت هذه الولاية أهميتها بعد أن تدهورت احوالها الاقتصادية
راجع : Piganiol. Le Status Augustéen a l'Egypt et sa
destruction, Mus. Helv., (1953), pp 200-201.

(٢) من هؤلاء Marcus Tegellus (BGU. 1180) من عام ١٤/١٥ ق م
ومنهم أيضا Cornelia Tatia (BGU. 1158) من عام ٩ ق م. قارن ايضا
L. West, Phases of Commercial life in Roman Egypt, J.R.S.,
7 (1917), p. 56.

كما نجد بعض القرائن على وجود نشاط لهم ، فى الاقاليم منذ ذلك العهد . (١) ويطرد ذكر الرومان *Peuplatores* بعد ذلك فى الوثائق الخاصة باقرارات الاحصاء المنزلى *Kat' oikia apographai* الذى كان يجرى فى عموم مصر بصفة دورية كسل (٢) أربعة عشر عاما . بما يفيد اقامتهم بانحاء من البلاد . ولا شك أن الكثير منهم كانوا من ملاك الاراضى ، ويتضح من المقارنة ان ملكياتهم فى القرن الاول من الحكم الرومانى كانت كبيرة نسبيا اذا قيست بمساحات ملكياتهم فى القرن الثانى . غير أنه ينبغي ان نلاحظ أن توافد هؤلاء الرومان على مصر فى أعقاب الاحتلال لم يكن يماثل بأى حال حجم توافد العنصر الاغريقى عليها بعد قيام الحكم البطلمى ، ولا نعترف أن أحدا من الابطاطرة انتهج فى مصر سياسة انشاء مستوطنات رومانية ، كما فعل بعضهم فى ولايات اخرى . كذلك نستدل من حصيلة مالدينا من الوثائق ان تغلغل هؤلاء الرومان فى حياة الاقاليم كان محدودا .

وأما المصدر الثانى لافراد الجالية الرومانية فى مصر فكان من الذين تجنسوا بالجنسية الرومانية بمقتضى منحة من أحد الابطاطرة ، وكان يأتي فى مقدمة هؤلاء مواطنو مدينة الاسكندرية الذين شغلوا فى سلم الترتيب الطبقي المكانة التالية مباشرة بعهد المواطنين الرومان . وقد كان من الامتيازات المهمة التى خص بها الرومان هؤلاء المواطنين الاسكندريين دون سائر سكان مصر حق الحصول على المواطنة الرومانية مباشرة (دون أن يؤدوا الخدمة العسكرية فى الجيش الرومانى بضعا وعشرين عاما) .

(١) من هذه القرائن وثيقة باللاتينية من عام ١ م عن الاجور المدفوعة الى صناع نسيج وعمال ومعهم مقدم العمل *Textores, conductei & magister*. والوثيقة من اكسيرينخوس والاشارة فيها قوية الى أن صاحب مصنع النسيج او مديره من أصل ايطالى
P. Oxy. 737 (=C.P.1. 311)

P.S.I. XI, 1183 (=C.P.L. 170); P. Oxy 255

(٢)

والوثيقة الاولى باللاتينية وقد أرجعها فيلكن الى عام ٤٨ م لانه يوافق عام احصاء ، وكذلك الثانية التى أرجعها الناشرون الى العام نفسه .

ونحن نعلم من احدى المراسلات المشهورة بين الامبراطور تراجان والكاتب بليسي
الاصغر في حوالي عام ١٠٠م انه كان يتعين على أى مصرى يسعى الى الحصول على
حق المواطنة الرومانية أن يحصل اولا على حق المواطنة الاسكندرية . وازاء شعور
الاسكندريين بعدم الارتياح لوجود طبقة أرفع واكثر تميزا منهم من الناحية الرسمية بالبلاد ،
سعوا بكل وسيلة الى اكتساب الجنسية الرومانية مستفيدين بهذا الامتياز المذكور .
وهكذا وجدنا عددا كبيرا من ااطنين الرومان في مصر كانوا في الاصل اسكندريين .

اما المصدر الاكبر للمواطنين الرومان في مصر فكان في الواقع هو جيش الاحتلال
الرومانى الذى كان عدد افراده في عهد اوجسطس يجاوز اثنين وعشرين الفا ، وان خفض
بعد ذلك غير مرة . وقد كان هذا الجيش يتألف من فرق اساسية legiones
لا يجند فيها الا المواطنون الرومان وينخرطون في سلك الخدمة فيها خمسا

Pliny, Epistul., X, 6-7

(١)

(٢) يذكر استرابون (Strabo, XVII, 1- 12) أن اوجسطس اقام في مصر
حامية قوامها ثلاث فرق وتسع كتائب وثلاثة آليات من الخيالة ، وقدر لسكييه
Lesquier هذه القوات على أساس ان عدد الفرقة ٦٠٠٠ وعدد كل كتيبة
او آلى ٥٠٠ فكان المجموع ٢٢٨٠٠ ، وهو عدد اكبر كثيرا مما كان يتطلبه
إحكام الدفاع عن مصر وإقرار الأمن بين ربوعها . وعندما استقرت الامور فى
الولاية سحبت منها فرقة كاملة في عهد الامبراطور تيبيريوس (وربما قبل
ذلك في عهد اوجسطس - حوالي عام ٩م) ليصبح عدد افراد الحامية ١٦٧٠٠ ،
وقد أنقص العدد مرة أخرى في القرن الثانى الميلادى ليصبح فرقة واحدة
وخمس كتائب وأربع آليات للخيالة بالاضافة الى كتيبة تألفت من ألف جندي
هى كتيبة اولبيا الاولى Coh. I Ulpia فيكون العدد

الاجمالى لذلك هو ١١١٠٠ جندي راجع :
Lesquier, l'armée romaine en Egypte, pp. 101-114.

(3) J. Barns, Three Fayum Papyri, Chron.-d'Eg. 24 (1949),
pp. 296.

حيث نجد في الوثيقة الثانية من هذه الوثائق الثلاث رومانيا يدعى
Longus من فرقة قورينة الثالثة legio III cyrenaica

يوءد انه مواطن روماني من اصل حر وبالتالي له الحق في الخدمة في فرقة رومانية
ويوءده في ذلك شهورا قسموا القسم . ويبدو ان الامر كان متعلقا باجرا تحر
عن حق هذا الشخص في الخدمة في صفوف الفرق . قارن ايضا :
C.P.L. 102, p 200: "... ingenum et civem Romanus esse
iusque militandi in legione habere..."

وعشرين سنة ، وكثائب Cohortes من القوات المساعدة auxilia
وكان الغالبية العظمى من افرادها يجندون من غير الرومان peregrini من جميع
ولايات الامبراطورية ويؤدون الخدمة العسكرية ستا وعشرين سنة في صفوف المشاة
او الخيالة والاسطول ، وعند تسريحهم بعد نهاية الخدمة تسريحا مشرفا honesta
missio كانوا يكافئون بمنحهم حق المواطنة الرومانية . وسواء كان هؤلاء
الجنود المسرحون Veterani مواطنين رومانا في الاصل أم اكتسبوا الجنسية الرومانية
من خلال أداء الخدمة العسكرية ، فان كثيرا من هؤلاء ، واولئك آثروا البقاء في مصر
بعد تسريحهم من الجيش بعد أن ألفوا الحياة في البلاد نحو من ربع قرن هي مدة
خدمتهم العسكرية اذا اتفق ان قضوها كلها في مصر كما كان يحدث في غالب
الاحوال ، لا سيما وأنهم كانوا في خلال هذه المدة ينشئون مع الاهالي علاقات
اقتصادية واجتماعية لم يكن من السهل التحلل من ارتباطاتها . ومن ناحية
أخرى وجدنا كثيرا من الافريق المصريين من ذوى الاوضاع الممتازة في عواصم الاقاليم
metropoleis يحصلون على حق المواطنة الرومانية من خلال ادائهم الخدمة
العسكرية . ذلك أنه منذ عهد الامبراطور هادريان (١١٧-١٣٨م) مالت سياسة
الاباطرة الى تعبئة جنود الحاميات الرومانية في الولايات من أهلها بعد أن ظلمت
السياسة الرومانية على مدى قرن ونصف قرن منصرفة الى تعبئة هؤلاء الجنود من خارج
الولاية . ولذلك نلاحظ أن عددا كبيرا من الجنود المسرحين الذين تتعلق

(1) N.Lewis, Life in Roman Egypt, p. 20; H. Devijver, The Roman Army in Egypt (Aufstieg und Niedergang der Römischen Welt, Band I, Berl. 1974) p. 458
غير أنه ينبغي أن نشير الى نقش نيقيبوليس المهم الذي نشره الدكتور عبد اللطيف احمد على فو، عام ١٩٥٥ .
A. A.Aly., A Latin Inscription from Nicopolis (Ann, Fac.Arts, Ain Shams Univ., 3(1955) pp 113-146.

والذى يتضمن اهداء الى الامبراطور انطونينوس بيوس كتبه عدد من الجنود بمناسبة تسريحهم في عام ١٥٧ م من فرقة تراجان الثانية الباسلة legio II Traiana fortis التي كانت مرابطة بمعسكرها في نيقيبوليس قريبا من الاسكندرية . والفروض ان هؤلاء الجنود تم تجنيدهم في عام ١٣٢ أو ١٣٣ م أى أثناء حكم هادريان . لكنه من جملة عددهم الذى لا يقل عن ١٣٥ لانجد مصريا واحدا (او على اكثر تقدير احد المصريين وفقا لقراءة لاحقة) اما الاكثية (٨٩) فاصلها من افريقيا كما ان هناك خمسة عشر أصلهم من ايطاليا . ويتعارض هذا مع ما ورد بالمتن عليه لكن يمكن تفسيره بأنه استثناء من سياسة هادريان الجديدة وأن الامر له علاقة بظروف الاضطرابات التى اشاعها اليهود في مصر وفي فلسطين في ذلك الوقت .

بهم الوثائق المصرية منذ منتصف القرن الثاني الميلادى وتتحدث عنهم كمواطنين رومان ، كانوا فى الاصل من مواطنى عواصم الاقاليم المصرية .

والى جانب هذا التنوع فى المصادر التى أمدت " الجالية الرومانية " بأفرادها المقيمين فى مصر إقامة دائمة ، فان الوثائق تشير الى تنوع الاعمال وتباين وجوه النشاط التى مارسها هؤلاء الافراد . لكن العنصر الغالب من حيث الكثرة العددية هم اصحاب الملكيات الشابتة من العذارات ومن الاراضى بشتى أنواعها على وجه الخصوص . وكنتفسير لغلبة هذا العنصر ينبغى أن نأخذ فى الاعتبار طبيعة الوثائق البردية كمصدر حيث يرد هذا النوع من الملكيات الشابتة فى المحل الاول من الوثائق الكثيرة المتعلقة بتصرفات البيع والشراء وقوائم الضرائب وسائر العقود والوصايا . وعلى ذلك فإن من الممكن ان يكون لاحد اصحاب هذه الملكيات نشاط اقتصادى اضافى فى مجال صناعى وتجارى ، لكن هذا النشاط لا يتردد ذكره فى المصادر . كذلك ينبغى الا ننسى طبيعة الاقتصاد المصرى الذى كان ابان العصور القديمة برمتها اقتصادا زراعيا ، وأن جانبيا كبيرا من الجنود المسرحين وجهوا استثماراتهم عندما استقروا فى البلاد الى امتلاك الاراضى والعقارات فى " ريف " مصر ، ويبدو ذلك واضحا على وجه الخصوص فى وثائق كرانيس^(١) . وعلينا ان نتذكر ايضا ما سبق أن نوهنا عنه من افتقارنا الى المصادر الوثائقية الخاصة بمدينة الاسكندرية حيث تركزت بالتأكيد مجالات نشاط غير زراعية للرومان .

ولعل البردية رقم ٧٩ من بردياته ييل P. Yale 79 تقدم لنا مثالا واضحا على هذا التوجه القوى الى امتلاك الاراضى الزراعية من جانب المواطنين الرومان سواء كانوا جنودا فى الخدمة او جنودا مسرحين او مدنيين ، ويرجع تاريخ هذه الوثيقة الى عام ٢١٧ م ، وتتضمن قائمة أعدّها كاتب قرية فيلادلفيا بالفيوم بأسماء ملاك الاراضى فى القرية لتكون اساسا لجباية ضريبة خاصة لتوفير بعض الامدادات لجيوش

(1) I. Biezunska - Malowist, op. cit., p. 281.

الامبراطور كاراكالا في احدى حملاته على سوريا ، وقد سجل امام كل مالك مقدار ملكيته من الارض مصففة الى ارض الحبوب $\sigma\tau\epsilon\kappa\eta\gamma\eta$ وأراضى البساتين $\delta\epsilon\upsilon\delta\epsilon\kappa\eta\gamma\eta$ وقد أحصى "أوتس" في هذه القائمة مائة وسبعة وستين من الملاك المقيمين بالقرية ، منهم عشرون من الجنود المسرحيين واحد عشر من الجنود واثنين آخرين يعرف من وثائق اخرى أنهما من الرومان . أى ان عدد ملاك الاراضى في فيلادلفيا من الرومان في ذلك الوقت بلغ ثلاثا وثلاثين ، وهى نسبة عالية تقارب العشرين في المائة من مجموع ملاك الاراضى الخاصة . ومن ناحية أخرى اظهرت الدراسة التحليلية لقوائم الضرائب في قرية كرانيس (المنشورة في الجزء الرابع من برديات ميشجن P. Mich. IV) ان تزايد الاسماء الرومانية في هذه القوائم يتناسب تناسبا طرديا مع تزايد حجم المساحات ، بمعنى ان المواطنين الرومان كانوا يمثلون نسبة عالية ايضا من كبار ملاك الاراضى

والواقع ان مقدرة الجندي المالية عند تسريحه كانت تتيح له فرصة امتلاك الارض - والعقار على محو يسمح له بأن يبدأ حياته المدنية بعد التقاعد كرجل اعمال له وزنه . ذلك أن الجندي كان يحصل في نهاية الخدمة على مكافأة قدرها اثنا عشر الفا من الدراخمت لمن خدم في صفوف الفرق الاساسية واقل من ذلك شيئا ما لمن خدم في القوات المساعدة ، كذلك يبدأ أن جزءا من مرتب الجندي كان يحتجز لحسابه طوال فترة خدمته على مدى ربع قرن فيما يشبه الودائع الجيرية *deposita* . وكان

(1) Oates, Philadelphia in the Fayum, op. cit. 1.

(2) Deborah H. Samuel, Greeks and Romans at Soknopaiou Nesos, (Proc. XVI Intern. Cong. Pap., American Studies in Papyrology 23 (1981), p. 389.

(3) N. Lewis, op. cit., p 21; M. Speidel, The Pay of the auxilia, J.R.S. 63 (1973) p. 144

ومن هذه الودائع *deposita* انظر:

Fay. 105 (introd.) وفي مزرحة عام ١٨٠٣.

هذا المرتب منذ عهد الامبراطور دوميتيان ١٢٠٠ دراخمة بالنسبة الى جندى الفرق الأساسية ووحدات الخيالة و ١٠٠٠ دراخمة بالنسبة الى جندى القسوات (١) المساعدة . وفى خلال فترات الهدوء والاستقرار التى لم يكن الجندى يقوم فيها بمهام قتالية والتى كثيرا ما كانت تطول ، وجد هذا الجندى متسعا من الوقت والمال لممارسة صفقات وأعمال تدر عليه اما ربعا سريعا وسهلا ، اوريا وفسيرا فى مشروعات طويلة المدى ، وقد شملت هذه الأعمال شراء العبيد وبيعهم ، واقرض الاموال لقاء فائدة شهرية قدرها واحد فى المائة ، وهى فائدة مجزية وإن كان الجنود لم يقنعوا بها فزادوها بالرغم من منافاة ذلك القانون . ونستطيع أن نذكر بضع حالات واردة فى الوثائق تبين قدرة الجنود المالية ، ومنها حالة لجندى كان قادرا على شراء نول لقاء ثلاثة عشر الفا من الدراخمات دفعها فورا ، وآخر كان يمتلك قاريا نهريا حمولته خمسمائة اردب (حوالى ١٢٪ طن) ويستأجر بحارا لتشغيله لحسابه ، وثالث يسجل فى وصيته قائمة بممتلكاته التى ضمت - الى حاب متعلقاته الشخصية والعسكرية - مالا سائلا قدره ثمانى قطع ذهبية ، و ١٩٩٪ وزنه : (تالنت) من الفضة ، وهو ما تربو

(١) لا خلاف هناك حول راتب جندى الفرق لاننا نعلم انه كان قبل عهد الامبراطور دوميتيان (٨١-٩٦ م) يعادل ٢٢٥ دينارا رومانيا (= ٩٠٠ دراخمة)

ثم زيد فى عهد الى ٣٠٠ دينار (= ١٢٠٠ دراخمة) ، ويفترض أن اجر الجندى فى وحدات الخيالة - الفرسان كان مساويا لذلك (راجع

Speidel, op. cit., p 141 ، والمصادر المذكورة عنده) أما

الخلاف فكان حول اجر جندى القوات المساعدة . وقد قبل الباحثون الآن الاعتماد على وثيقة بردية تاريخها ٨١ م وتتضمن بيان دفعة الراتب ربع

السوية الخاصة باثنين من الجنود (P. Gen. Lat. 1 recto)

فاذا سلمنا ان هذين الجنديين كانا يخدمان فى القوات المساعدة واخذنا

بتصويب الاستاذ فينك للرقم الوارد فى الوثيقة من ٢٤٨ الى ٢٤٧٪ أصبح

الراتب السنوى المدفوع هو (٢٤٧٪ × ٤ = ٩٩٠) يضاف اليه عشر

دراخمات هى نسبة الواحد فى المائة التى كانت تستقطع عادة من مرتب

الجندى لاسباب غير محددة وكان اصل المرتب هو ١٠٠٠ دراخمة أى ما

يعادل ٦/٥ مرتب جندى الفرق . راجع

Speidel, op.cit., pp 142-6; R.O. Fink, Roman Military

Records on Papyrus (1971) p. 251.

قيمته على المليون دراخمة (لولا ان التضخم وتدهور قيمة العملة في وقت تحرير الوصية كان قد وصل الى معدل مرتفع) وقد كان جزء من مال صاحب الوصية محفوظا بخزائنه ، لكن الجانب الأكبر منه كان يمثل قروضا له في ذمة مدينين بلغ عددها خمسة عشر قرضا .

كذلك فانه في مثل هذه الظروف من استقرار الاحوال وعدم انهماك الجنود في أعمال القتال مع توفر القدرة المالية لديهم ، كان من الطبيعي ان ينغمسوا في الحياة الاجتماعية في خارج المعسكرات وينشئوا مع الاهالي علاقات كانت ثمرتها انجاب أبناء وتكوين أسر . وعلينا ان نتذكر هنا أن سنوات الخدمة العسكرية الطويلة كانت بالنسبة الى هؤلاء الجنود هي سنوات الشباب والرجولة الناضجة وكان ما يخالف طبيعة الأشياء أن يظل الجندي الشاب الى سن الأربعين أو يزيد عطلا من زينة الاقتران بالمرأة والانجاب . ومن المعروف أن القانون الروماني كان يحظر على الجنود الزواج في أثناء الخدمة العسكرية ، حيث لم يكن حق الزواج *Conubium* يمنح لهم الا بعد تسريحهم (٢) . غير أنه يتضح من الوثائق ان هذه القاعدة انتهكت ، وعاشر الجنود في أثناء الخدمة نسوة من الاهالي معاشرة الأزواج ، وانجبوا منهم أبناء كانوا أما القانون أبناء غير شرعيين *Spurii* باعتبار انه لم يكن هناك عقد يقيم زواجا شرعيا *iustum matrimonium* وحتى عهد الامبراطور هادريان ، كانت تصدر عن الباطرة أوامر تؤكد حظر زواج الجند ، أثناء الخدمة ، لكن السلطات الرومانية تهاوت عن

(1) N. Lewis, op. cit. p. 21.

(2) Lesquier, op. cit. pp. 262 f; Taubenschlag, The Law of Greco-Roman Egypt, Warsaw 1955. p. 108-9 .

(3) Metteis, Chrest., 372; Cf. C. Préaux, Chron. d'Eg. XVI (1941) pp. 146 ff.

تلك الممارسات غير القانونية ، وعند تسريح الجندي آخر الأمر كان يعترف بزواجه الذى تم أثناء خدمته ، وعليه فان حصوله عندئذ على حق المواطنة كان يشمل زوجته وأبناءه^(١) . غير أن كثيرا من المشكلات كانت تنشأ فى حالة وفاة الجندي الأب قبل تسريحه حيث لا يكون للأبناء عندئذ حق الميراث . وقد وصلنا عدد من القضايا فى صورة التماسات رفعتها أمهات لهؤلاء الأبناء الى السلطات طالبات اقرار حق ابنائهن فى الارث . وكان الحكم يصدر بعدم شرعية ذلك . وازاء تزايد حالات انتهاك قاعدة حظر زواج الجنود وتزايد مشكلات قضايا الميراث ، لم يجد الامبراطور هادريان بدا من اصدار قرار فى عام ١١٩ يقضى بمنح هؤلاء الأبناء الحق الشرعى فى أن يرثوا آباءهم .

ولعل من الواضح أنه لم يكن من اليسر على الجندي بعد تسريحه أن يتحلل من هذه الروابط الاقتصادية والاجتماعية ، وانما كان من الطبيعى ان يتخذ الجنود المسرحون مقامهم فى مصر متمتعين بما يتيح لهم حصولهم على حق المواطنة الرومانية من مركز أدبى وامتيازات جمة . واعفاءات كلية أو جزئية من الضرائب ومن العمل الإلزامى أو الجبرى . كما أن عددا من هؤلاء الجنود كانوا من أهل البلاد

(1) BGU. 113

(2) Lesquier, op. cit., pp 263-70.

(٣) B.G.U. 140. ونشير فى هذا الخصوص الى أن المادة ٣٥ من مدونة ديوان

"الحساب الخاص" idios logos قد نصت على أنه من حق أبناء

وأقرباء الجنود الذين يموتون أثناء الخدمة دون كتابة وصية أن يرثوا عنهم

P. Gnom (35) ولما كانت هناك بعض الدلائل على أن هذه المدونة

أخذت شكلها النهائى فى أيام الامبراطور هادريان : P. Swarney,

The and Roman idios logos, pp. 121-2

فإن من المرجح أن هذه المادة ادخلت فى المدونة فى وقت صدور قنصل

الامبراطور فى العام المذكور .

(٤) عن هذه الاعفاءات التى مُنحها الجنود المسرحون منذ وقت سابق على الحكم

الرومانى فى مصر (مرسوم او كتابان فى عام ٢١ ق م المتضمن فى وثيقة بردية هسى

BGU. 628) وعن تطورها بعد ذلك راجع :

N. Lewis. Exemption from Liturgy in Roman Egypt (Acts X Intern Pap., Varsovie 1964) pp. 72-3

والصادر التى يُحيل اليها فى دراسته .

أصلاً ، لذلك غدا عنصر الجنود المسرحيين كما أسلفنا ، هو المصدر الأكبر للمواطنين الرومان في مصر . وكان أمراً طبيعياً أن نجد هذا العنصر هو الغالب في الوثائق التي نعتمد عليها في دراسة الموضوع برمته ، من حيث أن تتبع مسار حياة المواطن الروماني وأحواله المعيشية ونشاطه العام في مصر يصبح أكثر امكاناً بالنسبة إلى هذا العنصر أكثر منه بالنسبة إلى العناصر الأخرى المكونة للجالية الرومانية بالبلاد . والذي يتطلبه الأمر من الدارس هو ترتيب الوثائق المتاحة ترتيباً متتابعاً منذ وقت تسريح الجندي . وحصوله على حق المواطنة إلى الوقت الذي نجده فيه مستقراً في ناحية من البلاد بوضع محدد .

ولدينا أولاً من تلك الوثائق التي تلقى ضوءاً على ظروف استقرار الجندي المصري في مصر في البداية مجموعة من وثائق علمية فحص المستندات *Epikrisis* التي كانت تجري تحت إشراف وإلى مصر نفسه أو أحد كبار المسؤولين العسكريين ينييه الوالي نفسه في هذا الصدد . وقد أصبح من الواضح لنا الآن أن عملية " فحص المستندات " كانت بكل أنواعها ومستوياتها في مصر إجراء إدارياً الهادفاً (١) منه إثبات وضع اجتماعي يترتب عليها التمتع بحقوق أو امتيازات بعينها . وقد كان هذا الفحص الذي يتولى أمره والي مصر أو نائب عنه يتعلق أساساً بشئون مواطنين رومان " يرد ذكرهم تعميماً باسم الرومان *Ῥωμαῖοι* " وجنود مسرحيين *οὐρανοὶ* هؤلاء هم الذين يحكم وضعهم للحصول على حق المواطنة الرومانية بعد إقرار حقهم فيها ، إلى جانب فئات أخرى من السكان هم في الأغلب تابعون لهؤلاء أو أولئك . ولدينا الآن من وثائق هذا النوع من الفحص ثلاث عشرة وثيقة منشورة ، منها سبع (وربما ثمان) تتعلق بالجنود المسرحيين ، حيث نرى المطلب المتكرر فيها هو طلب الجندي السماح له - إما بمفرده أو مع ابنائه - بالإقامة بناحية ما من البلاد . ومن المعلوم أن المتقدم بهذا الطلب كان يتعين عليه المثول بنفسه أمام لجنة الفحص حيث يقدم المستندات المطلوبة ، ونقصد

(1) F. El-Kadi, The Epikrisis in Roman Egypt (in Greek), Athens 1973, pp. 29-32.

بها "الدبلوما" Diploma أو براءة التسريح المشرف من الخدمة العسكرية missi honesta missione وكانت على هيئة لوح برونزي مزدوج مسجل فيه اللاتينية ما يفيد هذا التسريح المشرف للجندى سواء أخدم فى الفـرق الأساسية أم فى القوات المساعدة ، مع ذكر الحقوق والامتيازات المترتبة على هذا التسريح ، ولما كان الاستهلال الوارد فى صدر كل وثيقة من وثائق هذا الفحص تفيد بأنها مستخرج (١) ἀντίγραφον من سجل فحص المستندات الخاص بالوالى (فلان) ، فان من المفترض ان الطالب كان يزود عند اقرار حقسه بوثيقة يستخدمها فيما بعد فى شتى المعاملات ومنها سعيه للاقامة فى مكان محدد بالبلاد (٢).

(١) بمقارنة الصيغ المتفاوتة الواردة فى صدر كل من الوثائق الثلاث عشرة يمكن ايراد الصيغة الموحدة على النحو التالى: ἀντίγραφον ἐκ τέρπου: ἐπικρίσεως (N) γενομένου ἡγεμόνος ἀνύπτου.

(٢) قد يشير التساؤل ورود عبارة " الاقامة لوقت ما " παρ' ἐπιθέσειν πρὸς καρπὸν التى قد توحى بأن امتياز الاقامة كان يمنح لفترة محدودة ربما لأن ادارة الوالى كانت تريد مراقبة تحركات الجنود المسرحين فى مصر مراقبة دقيقة . غير أنه لا توجد لدينا أدلة قاطعة على أن حق الاقامة فى مكان ما لهؤلاء الجنود كان مؤقتا ، وليس هناك أيضا أى اشارة الى أنه كان على الجندى المسريح الذى يخير محل اقامته فى مصر أن يتقدم لعملية " فحص " جديدة أو اجراء ادارى من نوع خاص ، راجع :

C.A. Nelson, Status Declarations in Roman Egypt (Am. Stud. Pap. Vol. 19) p. 45.

وفى مجال توثيق الحقوق يمكن أن نضيف السبب ورائق فحوص
المستندات وثيقتين أخريين ترجعان الى تاريخ واحد تقريبا ، وتوضحان مدى
حرص الجندى المسرح على أن يكون مزودا منذ البداية بالأوراق الرسمية
التي تثبت وضعه القانونى . والوثيقة الاولى بردية نشرت منذ وقت قريب ، وترجع
الى عام ١٤٩ م ، وهى خطاب من موظف رومانى كبير (لا تفصح البردية
عن وظيفته) يدعى اورليوس بترونيوس الى الكاتب الملكى basilicogrammateus
لقسم هيراكليس باقليم ارسينوى ، يطلب اليه ان يزود جنديا انتهى خدمته
العسكرية فى أحد الايات الخيالة بشهادة تفيد أنه معفى من اداء ضريبة الرأس
ἐκ δόσεως ἐπικεφαλίων^(٢) وأما الوثيقة الثانية فتاريخها هو عام
١٥٠ م ، وهى أكثر دلالة على حرص الجندى على أن يكون المستند الذى يملكه
خاليا من كل لبس او ابهام . وهى بردية لاتينية محررة فى بلدة قيساريّة
Caesarea (بفلسطين) . وتتضمن طلبا تقدم به اثنا وعشرون جنديا مسرحا رغبوا
فى الاستقرار بمصر . وكان هؤلاء الجنود قد بدأوا خدمتهم العسكرية فى الاسطول
ثم نقلوا الى الخدمة فى احدى الفرق الاساسية (legio X Fretensis)
ولذلك طلبوا تزويدهم بمستند رسمى يفيد أنهم سرحوا من الخدمة كجنود من الفرقة

(1) P. Oslo, inv. 1518 (=M. H. Eliassen, A Veteran's Exemption from Epikcephalia, Proc. XVI Inter. Cong. Pap. 1981).

(٢) يشير موضوع هذه الوثيقة شيئا من الحيرة لان الموظف يطلب الاعفاء من هذه الضريبة لشخص المفروض انه معفى منها أساسا باعتبار أحييته فى المواطننة الرومانية ، مما يفسر مجالا لتفسير معنى ἐπικεφαλίων بأنه خدمات الزامية وليس ضريبة رأس مع الربط بين هذا التفسير والاحتمال الذى يبدو قويا من الوثائق وهو أن الاعفاءات التى تمتع بها الجنود المسرحين تقلصت فى عهد الامبراطور انطونينوس بيوس راجع :

Eliassen, loc. cit

(3) P. S. I. 1026.

المذكورة وليس من الاسطول . وفى تذييل بأسفل الوثيقة كتبه المسئول الرومانى الكبير الذى قدم اليه الطلب ، نجد التنويه عن أن العادة لم تجر بتزويد الجنود المسرحين من الفرق الاساسية بوثائق مكتوبة ، باعتبار أنهم كانوا مواطنين رومان فعلا ابان سنوات خدمتهم) ، لكنه يوافق على تزويدهم بالوثيقة المطلوبة (بالاضافة الى مكافأة نهاية الخدمة) . ومن الواضح أن هؤلاء الجنود كانوا يخشون وقوع اللبس عند السلطات فى مصرفتهم مسرحين من الاسطول الذى بدأت خدمتهم العسكرية فيه مما يؤثر على وضعهم وامتيازاتهم ، فـسأرادوا تأكيدا لا لبس فيه بأنهم سرحوا من فرقة رومانية ، أى على حالة كونهم " مواطنين رومان " .

وفى سياق تتبعنا لحياة الجندى المسرح وهو يبدأ حياته الجديدة مواطنا رومانيا ، نورد بعد ذلك وثيقة مهمة فيها شئ * من الطرافة أيضا لأنها (١) تتيح فرصة قراءة ما بين السطور على حد تعبير ناشرها الاول لويس . وتقدم لنا هذه الوثيقة المؤرخة فى عام ١٣٦م نموذجا واضحا للطريق الذى كان يسلكه هذا الجندى وهو يخطط لحياته المستقبلية بعد التقاعد ، وهى تتضمن خطابا من شخص يدعى ثاليريوس باولينوس لا يزال يؤدى الخدمة العسكرية ويتوقع تسريحه بعد عام ، الى أخيه ثاليريوس ابوليناريوس المقيم بقرية كرانيس ، يوصيه بالعمل على تيسير مهمة حامل خطابه المذكور على النحو التالى :

" اوصيك بحامل هذا الخطاب ترنتيانوس الجندى المسرح تسريحا مشرفا ، واجعله يتعرف على طرائق حياة سكان القرية حتى لا تلحقه اهانة . وحيث انه رجل موسر ويرغب فى الاقامة هناك ، فقد بذلت لسه أن يستأجر منزلى لهذه السنة والسنة التالية لقاء ستين دراخمة وأن يؤجر أرضى لقاء ستين أخرى .

(١) SB. 9636 وانظر تعليق "لويس" على هذه البردية مؤخرا :

ونحن نفهم من هذه الوثيقة جملة أمور منها أن الجندي أبان العام أو العاميين الآخرين قبل التسريح كان يدبر أمر مستقبله حين يصبح في جعبته المال اللازم والمستندات التي تثبت وضعه الجديد الممتاز ، وأنه كان يتجه الى مكان يوفر له الإقامة الطيبة والاستثمار الطيب في آن واحد معا . وأن الأمر كان يقتضى منه كوافد جديد أن يلتصق البداية الصحيحة في مجتمع الأهالي حتى لا يلحقه ضرر أو مهانة . وتبدو هذه النقطة الأخيرة مفهومة لنا تماما بالنسبة الى شعور التوجس من جانب هؤلاء الأهالي ازاء هؤلاء الغرباء القادمين للاستيطان بينهم والذين كانت ذاكرتهم تحتفظ بصور عنهم وهم جنود أثناء الخدمة ينفذون سياسة الحكومة في فرض المزيد من الأعباء دائما . وحتى لو كان هذا القادم الجديد على استعداد لأن يكون خيرا بل محسنا ، فإن أهل القرية كانوا ينظرون اليه من زاوية واحدة على الأقل وهي امتيازاته التي كانت تتضمن اعفاءات عليهم أن يتحملوها هم عنه كجموع .

ونعلم بعد ذلك أن ترنتيانوس المذكور في الوثيقة السابقة استقر في كرانس ، لأنه دون شك هو كلوديوس ترنتيانوس الذي عثر على مجموعة من خطابات في أحد منازل هذه القرية ، وعرفنا منها أن أباه كان بدوره جنديا مسرحا ، وأنه خدم في أسطول الاسكندرية . ونحن نستطيع أن نستخلص من "أرشيفه" هذا بعض تفاصيل عن حياة جندي متقاعد يمارس حياته في قرية من قرى مصر كما يمارسها وجهاء القوم وأثريائهم .^(١)

ولدينا مما يشابه هذه الارشيفات المحدودة التي يمكن أن نستخلص منها معلومات مهمة عن حياة هؤلاء المواطنين الرومان الجدد بعد استقرارهم عدة أمثلة ألمحنا اليها في موضع سابق من الحديث . لكن ربما كان أرشيف لوكيوس بلينيوس جيلوس وأسرته هم أحواها بالذكر هنا واجدوها بالدراسة التفصيلية . ذلك

(1) Oates, The Evidence of Egypt, BASP, 2 (1964) p. 63.

أن أوراق هذه الأسرة تضم عددا وافرا من الوثائق قوامها خمسة وثلاثون خطابا ،
وثلاثة عقود ، وجزءا من قائمة مرتبات وأجور يحتمل أنها تخص الأسرة^(١) أما
رب هذه الأسرة فكان جنديا استقر بعد تسريحه من الخدمة فى اقليم الفيوم منذ
حوالى عام ٨٠ م . وعندما مات بعد نحو ثلاثين عاما عن عمر يناهز السابعة والسبعين
أو يزيد كان يمتلك أراضى وضياعا واسعة فى أنحاء شتى بالاقليم ، لكن أكثرها كان^(٢)
أما فى قرية أبو هيميريا Euhemeria (حيث كانت له فيها أيضا معصرة للزيت ،
أو فى قرى مجاورة لها مثل ديونيسياس وأبياس وسنتيس وغيرها .^(٣)
ومن مراسلات رب الأسرة خاصة مع ابن له يدعى سابينوس وشخص آخر أكثر
من الكتابة له ويدعى اباجاثوس (وقد يكون ابن أخ له أو عبدا وفيا أمينا) نعلم
أن الرجل كان يشرف على إدارة أعماله الزراعية اشرافا شخصيا دقيقا بالرغم من
كثرة اتباعه واعوانه ، كما نراه يتصرف كشخصية بارزة فى المجتمع ، فهو مثلا لا ينسى
أن يرسل الهدايا الى مديرى الاقليم عندما يحل موعد الاحتفال بمهرجان الربيع
ايزيس ، ويأمر باعداد عشر دجاجات لتقدم فى احتفالات عيد ساتورناليا
Saturnalia . ويظهر ثراء الرجل من أنه يضخى فى مناسبة ما يعجل كامل
كما تظهر مودته لافراد أسرته وميله الى حياة البهجة والسرور فى حرصه على
الاحتفال بعيد مولد طفل صغير لعله أن يكون حفيده من جهة ابنته .^(٤)

غير أن هناك بضع وثائق تشير الى أن حياة هؤلاء المواطنين الرومان
الجدد لم تكن دائما خالية من المشكلات سواء مع الأهالى أم مع سلطات الحكم المحلى .

(1) P. Fay. 110 (introduction)

(2) P. Fay. 91.

(3) P. Fay. 110

(4) P. Fay. 112.

(5) P. Fay. 111-112

(6) N. Hohlwein, Le Veteran Lucius Bellienus Gemellus. Gent-
leman-Farmer au Fayum, Etudes de Papyrologie VIII (1957)
Pp. 69-91.

فأما عن الأهالى فقد سبق أن المحنا الى شعور التوجس الذى قابلوا به هؤلاء الجنود القدامى الذين كانوا من قبل أدوات السلطة التى ما فتئت تكرههم على أداء المزيد من الأعباء العينية والنقدية وهم صاغرون ، ومن ذلك على سبيل المثال تكلفة ايواء هؤلاء الجند و امدادهم بالمئونة والغذاء ، فضلا عن الضرائب الآنية التى كانت تفرض عندئذ ، والتى كان الجنود لا يعدمون وسيلة لتحصيل فوائد شخصية لهم منها فى غمار العملية الابتزازية العامة . وهكذا كان ظهور هؤلاء القادسيين الجدد للاستيطان يقترب فى وجدان الأهالى بمرمز سلطة حكومية غاشمة ، فلم يكن غريبا ألا يستقبلوهم بالترحاب . كذلك فاننا نتصور أنه بالرغم من وجود عناصر طيبة بين هؤلاء المواطنين الرومان الجدد أدت أدوارا ايجابية فى حياة السكان الاقتصادية والاجتماعية فى القرى أو عواصم الاقاليم ، فان كثيرا منهم أصروا على أن يستغلوا الامتيازات الممنوحة لهم الى أقصى حد ممكن ، مظهرين شعورا بالازدراء للمصريين أو الاغريق المصريين الذين عاشوا بين ظهرائهم . ولعلنا نستطيع أن نفهم ما يكون دائما من سلوك عناصر وضعية مارست فى حماية السلطة وسائل القهر بالعنف واستمرت حياة التطفل على حساب فئات مغلوبة على أمرها ، وقد انفتحت امامها فى التو واللحظة فرصة التميز الطبقي ، فهى عندئذ تريد أن تضع بينها وبين ذلك الاصل الوضع أبعد ما يمكن من المسافات الاجتماعية بل الحواجز الشعورية . ولعل احدى الوثائق تفصح عن رد فعل الأهالى ازاء صلف او عجرفة واحد من هؤلاء وهى عبارة عن شكوى مرفوعة من أحد الجنود المسرحين ويدعى جايوس يوليوس نيجر فى عام ١٦٢م عن أضرار واهانات لحقت به . والواقع أن موضوع الشكوى نفسه لم يصلنا بسبب ضياع الجزء الأعلى من الوثيقة ، وهو الجزء الذى يفترض ان الموضوع وارد فيه . ولكننا نرى صاحب الشكوى فى الجزء المتبقى من الوثيقة يقول : " . . . وعلى ذلك فحيث أن الاذى الذى وقع على واضح ، وحيث اننى روماني لحقته مثل هذه الاهانات على يد مصرى فاننى أطلب . . . "

وفي وثيقة أخرى أقدم ببضع سنوات (مؤرخة في عام ١٥٣م)^(١) نقرأ ما يقرره
سبعة من الشهود ، كلهم رومان ، من قرية فيلادلفيا باقليم الفيوم ، وقعوا
بأسمائهم بعد ادائهم القسم . ومضمون شهادتهم أنهم رأوا الجندي المسرح جايوس
مايفيوس ابلاس يضرب بالهراوات ويجلد بالسيطات على يد اثنين من الحراس بأمر
من مدير الاقليم هيراكس . وتبدو هذه حالة جد صارخة من التعدي على شخص
مواطن روماني وحقوقه التي كفلها له القانون الروماني أمام السلطة التنفيذية
للموظفين الرومان أنفسهم وليس فقط أمام هذه السلطة المحلية التي يمثلها حاكم
لأحد الاقاليم المصرية .

والواقع أن لدينا من الوثائق ما يوحى بأن العلاقة بين هؤلاء المستوطنين الجدد
وسلطات الحكم المحلي لم تخل من المتاعب ، وأن مبعث المشكلات كان في الأغلب
هو ميل هذه السلطات الى الانتقاص من امتيازات الجنود المسرحين وتقليص حجم
الاعفاءات الممنوحة لهم . ونستطيع أن ننظم هنا في سياق واحد أربع وثائق ترجع
اثنان منها الى حوالي عام ٦٣م والثالثة الى عام ١٣٩م والرابعة الى عام ١٧٢م . فأما
الوثيقتان الاوليان فتتناولان على الأرجح قضية واحدة من خلال مقابلة تمت
بالاسكندرية على مدى أربعة أيام بين والي مصر يوليوس كايكينا توسكوس ومجموعة من
الجنود المسرحين^(٢) الذين رفعوا اليه شكاياتهم ، ويفهم أن والي أجابهم بأنه

(1) SB. 7523 (=Select Pap. 254).

(٢) الوثيقتان هما : P. Fouad 21, p. Yale 1528 انظر الرأي المرجح
لتعلقهما معا بقضية واحد في :
Westermann, Tuscus the Prefect and the Veterans in Egypt,
Class Philol. 38, pp 27-28.

هذا ويلاحظ أن ولز في تعليقه على بردية بيل ١٥٢٨ ذهب الى أن الأمر
يتعلق بجنود لا يزالون في الخدمة في صفوف الفرقتين الرابطين آنذاك في
معسكر نيقوبوليس بالقرب من الاسكندرية راجع :

C.B. Welles, The immunitas of the Roman legionaries in Egypt,

J.R.S. 28, pp. 48-49.

غير أن ساجريه (Sagré) رأى أن الأمر متعلق بجنود مسرحين وليس بجنود
لا يزالون في الخدمة اعتمادا على عبارة واردة في أمر والي اليهم
(السطران ٢١ ، ٢٢ من العامود الثاني من بردية بيل المذكورة) وهي عبارة =

سيكتب الى مديري الاقاليم الستى، ينزلون بها حتى لا يتعرض لهم أحد بمضايقات طالبا منهم أن يعود كل منهم الى مباشرة شئونه دون ابطاء . وأما الوثيقة الثالثة فهى تلك التى أشير اليها مرارا فى دراسات مختلفة من قبل ، أنا للتدليل على تميز طبقة الرومان فى مصر من حيث عدم خضوعهم لسلطات الحكم المحلى ، وأنا لبيان اندماج طبقة مواطنى الاسكندرية من حيث الوضع الاجتماعى مع طبقة المواطنين الرومان بمرور الوقت . وتتضمن هذه الوثيقة تلك الشكوى المشهورة التى رفعها مدير اقليم قفط Coptos الى الوالى فى عام ١٢٦م بأن الرومان والاسكندرانيين والجنود المسرحين العاملين فى جباية الضرائب من خلال الخدمة الالزامية المفروضة عليهم ، يرفضون الامتثال لأوامره ويعلنون انهم غير خاضعين له . ويمكن ان ننظر الى هذه الوثيقة نفسها من زاوية جديدة نستخلص منها أن ماكان يوجد فرص الاحتكاك بين الجنود المسرحين الذين استقروا فى مواطنهم الجديدة وبين السلطات المحلية هو الميل الطبيعى لدى هذه السلطات للانتقاص من امتيازاتهم . ولعل الوثيقة الرابعة التى رأينا أن نسلكها فى السياق نفسه تؤكد لنا هذا الاتجاه وهى وثيقة ترجع الى عام ١٧٢م وتتضمن شكوى من أحد ملاك الاراضى من الجنود المسرحين المقيمين فى قرية كرانيس بالفيوم ويدعى جايوس يوليوس ابوليناريوس يذكر فيها أن السلطات لم ترع حقوقه بوصفه جنديا مسرحا فى الاعفاء من الخدمة الالزامية لمدة خمسة أعوام بعد تسريحه من الجيش ، فكلفته بأعمال من هذا النوع بعد عامين فقط من تسريحه .

= رأى انها اكثر قربا الى وضع الفريق الاول منها الى وضع الفريق الثانى ، وهى : " فليعد كل واحد الى مباشرة شئونه دون ابطاء " $\epsilon\lambda\epsilon\gamma\sigma\epsilon\iota\varsigma\ \epsilon\iota\varsigma\ \epsilon\alpha\ \alpha\gamma\epsilon\iota\tau\alpha\ \kappa\alpha\iota\ \mu\eta\ \chi\epsilon\iota\tau\alpha\ \epsilon\lambda\epsilon\gamma\gamma\epsilon\iota$ انظر : Sagré, J.R.S. 30 p. 153

وقد أيد وسترمان Loc. Cit. رأى ساجريه فى هذا الخصوص .

(1) BGU. 747 (=Wilcken, Chrest. 35)

(2) BGU. 180 (Wilcken, Chrest. 396)

ولهذه الوثيقة اهمية اخرى واضحة بالطبع ، وهو ما تؤكد من أنه فى وقت ما قبل عام ١٧٢ ، وهو تاريخ تحرير الوثيقة المذكورة تقرر الا يكون اعفاء الجنود المسرحين من الخدمات الالزامية اعفاء دائما كما كان الحال من قبل وانما حدد بمدة خمس سنوات فقط .

على هذا النحو ، نرى أنه يمكن من خلال تجميع المتاح من الوثائق
في سياق منطقي متتابع ان نقف على جوانب من حياة الجنود المسرحين الذين
آثروا الاستقرار بمصر بعد تسريحهم وحصولهم على حق المواطنة الرومانية ما يلقي
ضوءاً على الدور الذى أدوه في الحياة المصرية الاقتصادية والاجتماعية منذ بدايات
الحكم الرومانى حتى صدور قانون كاركالا ، وذلك في اطار الحقائق المعروفة
عن تطبيقات القانون المدنى الرومانى في مصر . أما دراسة مدى انتشار حقوق
المواطنة الرومانية في مصر ابان الفترة المذكورة والدور الثقافى او الحضارى الذى
أداه العنصر الرومانى برمته في مصر ، بما يتضمنه ذلك من بيان تأثير البيئة المصرية
بمظاهر الحياة الرومانية العامة ، فتلك دراسة لها منهج آخر يتطلب بادئ ذى بدء
انجاز ذلك الحصر البروسوفرافى الشامل الذى أشرنا اليه في بداية هذا
الحديث .